

ألف حكاية وحكاية (١١٠)

يولد وينمو ويموت

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم
نسيم

الناشر

مكتبة مصر

بمبادرة وزارة الثقافة
مشروع كامل صديق النخلة
٥٩٠٨٩٥١ ت

يولد و ينمو ويموت

خلال إحدى محاضراتي الجامعية ، سألتني طالبة : ابني في السادسة من عمره ، قال لي ذات يوم بعد عودته من المدرسة :
" أين نذهب بعد الموت ؟ "

قالت الأم : " فوجئت بالسؤال ، لكنني أجبت بسرعة : إلى

الجنة "



فانقلبت ملامح وجه ابني ، يُريدني أن أفهم أنه لم يقتنع
بإجابتي. وبعد لحظة قال : " زميلي أشرف .. جدُّه مات .. ودفنوه
في الأرض .. في القبر! "

قالت الأم حائرة : " ولم أعرف بماذا أجيب !! "
قلتُ لها : كان لأستاذنا توفيق الحكيم ، ابنُ اسمه حسين ، وقد
مات الابن وهو في الثلاثين من عمره ، ونشر الأديب الكبير مقالا
يقدم فيه الصبر والعزاء لنفسه ، قال :

" البدره لا تنمو إلا إذا دفنوها في الطين . كذلك الإنسان ..
طريقه إلى الحياة الأخرى ، أن يُدفن . القبر ليس نهاية .. إنه بداية .
وبغير مثل هذه البداية ، لن تكون الأزهار ولا الثمار ولا الأشجار .. ولا
الحياة الأخرى . "

وأضقت : وذات يوم ، شاركتُ أبنائي وهم صغار ، في زراعة
بعض الحبوب .. " دفنّاها " في كمية من الطين ، داخل وعاء وضغناه
في شرفة منزلنا .

وعندما شقتُ النباتات الخضراء المورقة المتفتحة ، طريقها
عن سؤالهم : " أين نذهب بعد الموت ؟ " ، لأنهم لمسوا مثالا
محسوسا ، يُقربُ الإجابة إلى خيالاتهم المحدودة ، وإلى أسلوب
تعرف الأطفال على العالم ، بالمحسوسات وليس بالمجردات .

هذا ما أفعله أنا أيضًا

في إطار استمرار أنشطة القراءة للجميع ، دعشتي مدرسة للقاء مع أبناء وبنات القسم الابتدائي ، في المكتبة .

سأل أحدهم : " نعرف أنك تكتب في صحيفة " الأهرام " ومجلة " نصف الدنيا " ، وقرأنا لك عشرات الكتب للأطفال ، كما تقوم بتدريس أدب الأطفال في الجامعة ، ثم تلتقي بالأطفال والكبار في ندوات متعددة ، فكيف تستطيع التوفيق بين كل هذه الأنشطة ؟ " قلت : " هذا سؤال عليكم مساعدتي في الإجابة عنه ، فأنتم متفوقون في دراستكم ، وبعضكم يكتب الشعر أو القصة ، وشاهدتكم تمارسون مختلف الهوايات من موسيقى ورسم وتمثيل أو ألعاب رياضية ، فكيف تستطيعون التوفيق بين كل هذه الأنشطة ؟ "

أجاب تامر : " لا بد من تقسيم الوقت ، فلا يشغلنا نشاط واحد كل الوقت ، فمن الخطأ التركيز على اللعب وحده أو على مشاهدة التلفيزيون فقط ، بل يجب أن نعطى وقتًا للمذاكرة ، ووقتًا للهوايات ، ووقتًا للتلفيزيون . "

وقالت رشا : " بالإضافة إلى ما قاله تامر ، فلا بد أيضًا أن نضع

أولويات عند تقسيم الوقت . فخلال السنة الدراسية ، نبدأ بأداء
الواجبات المدرسية ، وبعدها نتفرغ للقراءة الخارجية ، ثم لبقية
الهوايات . وإذا تبقى وقت ، فلبرامج التليفزيون الجيدة .
قلت لهم : " لقد سمعتُ منكم أفضل إجابة عن سؤالكم .. فلا بد
من الاستفادة بكل دقيقة ، مع الحكمة في تحديد الأولويات ، وهذا
ما أفعله أنا أيضًا . "



الحفيد يكتب القصص

في مكتبة الرعاية المتكاملة بالمعادي ، أثناء مهرجان القراءة للجميع ، جلستُ ساعتين مع الأطفال لنحاورُ ، أشجّعهم أن يُجيبوا بأنفسهم عن أسئلتهم ، وأن يُعبّروا بحرية عن وجهات نظرهم المختلفة، حول ما يطرحون من موضوعات .



سألوني : " متى بدأت الكتابة ؟ "

قلتُ : " لا أتذكر .. لقد بدأت كتابة القصص وأنا في الثالثة

الابتدائية ، وكان عمري ثمانى أو تسع سنوات . "

ثم أضفتُ : " وحفيدي الآن في الثانية الابتدائية ، عمره ثمانى

سنوات ، ويكتب القصص منذ كان في الأولى الابتدائية . "

سألوا : " من الذى شجّعهُ ؟ "

قلتُ لهم : " لقد فتح عينيّ على الدنيا ، وهو يسمّنى يومياً أقرأ

على أخته ووالديه ، قصصى التى أنشرها كل يوم تحت عنوان

" حكاية أعجبتنى " و " ألف حكاية وحكاية " ، ويسمع المناقشات

التي تدور بينى وبينهم أو مع أصدقائى ، حول كل قصة قبل نشرها ،

ويشترك مع أخته فى مناقشاتنا . "

" عاش فى بيت به مكتبة كبيرة ، وشاهد الكبار يقرءون ، ووجد

حوله كثيراً من الكتب المناسبة لمختلف مراحل عمره ، ووجد من

يشركه الاهتمام بكل كتاب . "

عندئذ قال أصدقائى الصغار من رواد المكتبة : " لقد وجد

حفيدك : الكتاب المناسب ، والقراءة ، والمشاركة التى نحتاج إليها

جميعاً . "

لعبة الإبداع والابتكار

خلال شهور الصيف في أحد الأعوام ، التقينا بالقراء الصغار في لقاءات ملأته بالحيوية والحوار ، في اثنتين وثلاثين مكتبة للأطفال ، تمتد من سوهاج بصعيد مصر إلى الإسكندرية .
وكان أحد الأسئلة التي سمعناها في معظم هذه اللقاءات ، هو: " من أين تستمد أفكار قصصك التي تنشرها في باب " الف حكاية وحكاية " ، أو في مجلة " نصف الدنيا " تحت عنوان " حكاية أعجبتني ؟ "

كُنْتُ أجيبُ : إن مصادر أدب الأطفال هي التأليف ، والقصص الشعبي ، والأدب العربي القديم ، والتراث العالمي . وأكثر من نصف القصص التي ننشرها ، مؤلفة . أما بقية القصص ، فنختارها من المصادر الأخرى ، ونعيد صياغتها بشكل كامل في معظم



الأحيان، وذلك سواء القصص التي تنشرها في الأهرام اليومي، أو التي كنا ننشرها في أهرام الجمعة في الثمانيات تحت عنوان "قصة".

ولهذا فإن العقد المُحرَّر بيننا وبين صحيفة الأهرام، منذ عام ١٩٨٢، ينصُّ على أن تكون موادُّ هذا الباب، هي من تأليفنا أو إعدادنا أو ترجمتنا.

ولهذا أيضًا، حرصنا دائمًا على أن تقدِّم هذه الحكايات تحت عنوان "إعداد أو تقديم"، مع أن عددًا كبيرًا منها من تأليفنا. وبعد هذه الإجابة، كنا ندعو الأطفال إلى إعادة صياغة هذه الحكايات، مع وضع حوار مُبتكر لبعض مواقفها، مع تمثيل هذه المواقف أو رسمها.

وكم من مواهب مُتألِّفة اكتشفناها بين أطفالنا، ونحن نلعب معهم هذه اللعبة، التي كان الصغار يُسمُّونها "لعبة الإبداع والابتكار".



الفارس الذى لا يزال يعيش بيننا

أسماء عمرها ثلاثة عشرة سنة ، وجدتها قد استغرقتُ تقرأ
بعض أعداد من صحيفة الأهرام . وعندما تطلعتُ لأرى ماذا تقرأ ،
رأيتُ عبارة " معارك آخر العمر " ، وهى عنوانُ آخر سلسلة مقالات



كتبها فارسُ مصر الذي رحل . الأستاذ سعد الدين وهبة .

و يعبر أن أسألها . رفعت رأسها لمقول في السهار :

' هذه المقالات تؤكد أنه انتصر فعلاً في معركته مع المرض
والموت . لقد نجح في ترويض الداء القاتل ، فوقف ذلك الوحشُ
أمامه . لا يستطيع أن يمس قدراته على الكفاءة والإبداع . وعلى
الاهتمام بمشروعاته الكبيرة . مثل مهرجان القاهرة السينمائي
الدولي ، ليقول لنا في قوة وحرمة . مع أنه كان يعرف تماماً خطورة
مرضه .

' الشر لا يقاوم إلا بالساد والإصرار . وأنا أنتظر الصحة والحياة .
لأعود من حديد إلى القاهرة . إلى مكاني في صفوف الماصلين .
من أجل عزة مصر وعزة العرب . وكرامتها وكرامة العرب .
وأصافت الصغيرة في حماس ، يؤكد إيمانها بقيمة الإنسان
والحياة :

" إن مقالته الأخيرة . يؤكد أن الإنسان لا يموت إذا مات
الجسد .. الإنسان يموت إذا صغفت الإرادة . أو تحادلت الروح . أو
فقد الإنسان الرغبة في التحدي والمقاومة . "

" الإنسان يتصر حتى على الموت . طالما طلب روحه إلى
اللحظة الأخيرة ، يملؤها الإصرار على المقاومة . والحماس للعمل .
والحرص على أداء الرسالة حتى النفس الأخير "

غرامة في قطار الصعيد

في القطار الذاهب من المنيا إلى سوهاج بصعيد مصر، كنتُ مُتهمًا في القراءة . وفجأة سمعتُ أحدَ الركابِ يصيحُ : " الملووسُ لا يُهمُنِي !! "

والتفتُ ، فوجدتُ رئيسَ القطار ، بملابسه الرسمية ، قد أخرج دفترَ العراماتِ وهو يقولُ : " غرامة ١٣ حية ، لأن التدخين ممنوعٌ !! "

صاح الراكبُ : " كلُّ الناسِ تدخُنُ !! " قالَ رئيسُ القطار في إصرارٍ : " أنتَ تقتلُ غيرك .. السحائرُ كلها أصرارٌ فائلة .. ادفعِ الغرامة ! "

عاد الراكبُ يصيحُ : " لم أكنُ أعرفُ أن التدخين ممنوعٌ !! " هنا أشارَ رئيسُ القطار إلى لافتةٍ مكتوبةٍ على بابِ عربةِ القطار ، وقالَ : " التحذيرُ مكتوبٌ بوضوح . وحتى بغيرِ تحذيرٍ ، هذه عربةٌ مكيمةُ الهواءِ .. عربةٌ مُعلقةٌ .. دخانُ سيحارتك لا بد أن يذهبَ كُلُّه إلى المسافرينِ الآخرين ، فيؤذي رئةَ كلِّ منهم أشدَّ الأذى ، بغيرِ ذنبٍ ارتكبه .. أنتَ حرٌّ في نفسك ، لكنك لستَ حرًّا في حياةِ الآخرين . "

وأصرَّ رئيسُ قطارِ الصعيد على تحصيلِ الغرامة ، لكنه كان أكثرَ حرصًا على أن يسمعَ كلُّ ركابِ العربةِ حوارًا مع الراكبِ ، الذي لا

يُريدُ أن يعترف بالجريمة التي يرتكبها ، عندما يُعرضُ الآخرين لأخطر
الأمراض ، وأشدّها فتكاً بحياة الإنسان .

وعندما تجاذبتُ الحديد مع رئيس القطار ، قال لي :
"بُهِمْتِي أن تعرف أننا لا نأخذُ أيةَ حوافِرَ عن تحصيل غرامات
التدخين ، لكن إيماني بالضرر الجسيم للتدخين ، هو أقوى حافِزٍ لي
لتحصيل هذه الغرامات ."





"ديانا" وصوت الموسيقى

كل صباح ، كان الأب يفرض على أبنائه أن يقيموا أمامه صفًا واحدًا ، كأنهم في طابور عسكري ، وهم يرتدون كامل ملابسهم الرسمية ، ليقدّموا له التحية .. لا يتحدثون إلا بإذن منه ، وهو يحسب عليهم كل حركة وكل كلمة .

ثم جاءت المربية الجديدة ، فصنعت لهم من قماش الستائر ، الذي يشبه قماش "الجينز" ، ملابس رياضية ، تساعدهم على الجري والقفز ، بعد أن انطلقوا إلى أحضان الطبيعة ، يتأملونها ويتعلمون منها .

كان هذا هو الموضوع الحقيقي لقصة فيلم "صوت الموسيقى" ، الذي أحبه الملايين ممن شاهدوه .. إنه موضوع الصراع بين التربية التقليدية ، التي تتطلب الطاعة والخضوع للتقاليد ، وعدم الخروج عن القوالب المحددة .. والتربية السليمة ، التي تهدف إلى تنمية طاقات الخلق والإبداع والابتكار لدى الأطفال .

وكانت هذه هي نفس المشكلة ، التي ناز الخلاف بشأنها بين "ديانا" وزوجها الأمير "شارلز" ولي عهد إنجلترا ، حول أسلوب تربية أبنيهما .

وكان تصفيق الجماهير حول جثمان ديانا ، هو التأييد الشعبي الجارف لأسلوب ديانا ، الذي أكدّه البرلمان الإنجليزي ، عندما قرّر أنه لا يكفي تربية الابنتين كأميرتين ، بل يجب تربيتهما كمواطنتين ، يرتبطان بالمجتمع وأبناء الشعب .

في مواجهة الظلم !!

لى صديق شقَّ طريقه في الحياة بمواجهته وذكائه وعمله الدائب ، لذلك كانت تواجُّههُ ، كلما حقق نجاحًا كبيرًا ، الأحقاد والأكاذيب والهجومُ الظالمُ .

ومع ذلك كنتُ أراه يتسمُ دائمًا ، ولا يكفُ عن العمل أبدًا . فسأته ذات مرة : " ألا يعطُّك هذا الهجومُ عليك ، والكيدُ لك ، عن عملك وانتاجك ؟ " !

ضحك وقال : " تقى بالله كبيرة ، والله لا يتخلَّى عن المظلومين . وها هي زوجتي بجوارى ، أسألها .. ما من مرة تعرَّضتُ فيها لحملة من حملات الهجوم الظالم ، إلا وانفتحت أمامي ، من ناحية أخرى ، طاقة من الخير ، تقدُّم لى فُرصًا أوسع للنجاح والتقدُّم أدبيًا وماديًا " !

" فمرحبًا بالظلم ، لأنه أصبح ، بالنسبة لى ، بشيرًا بمزيد من التقدم والنجاح !! " !

